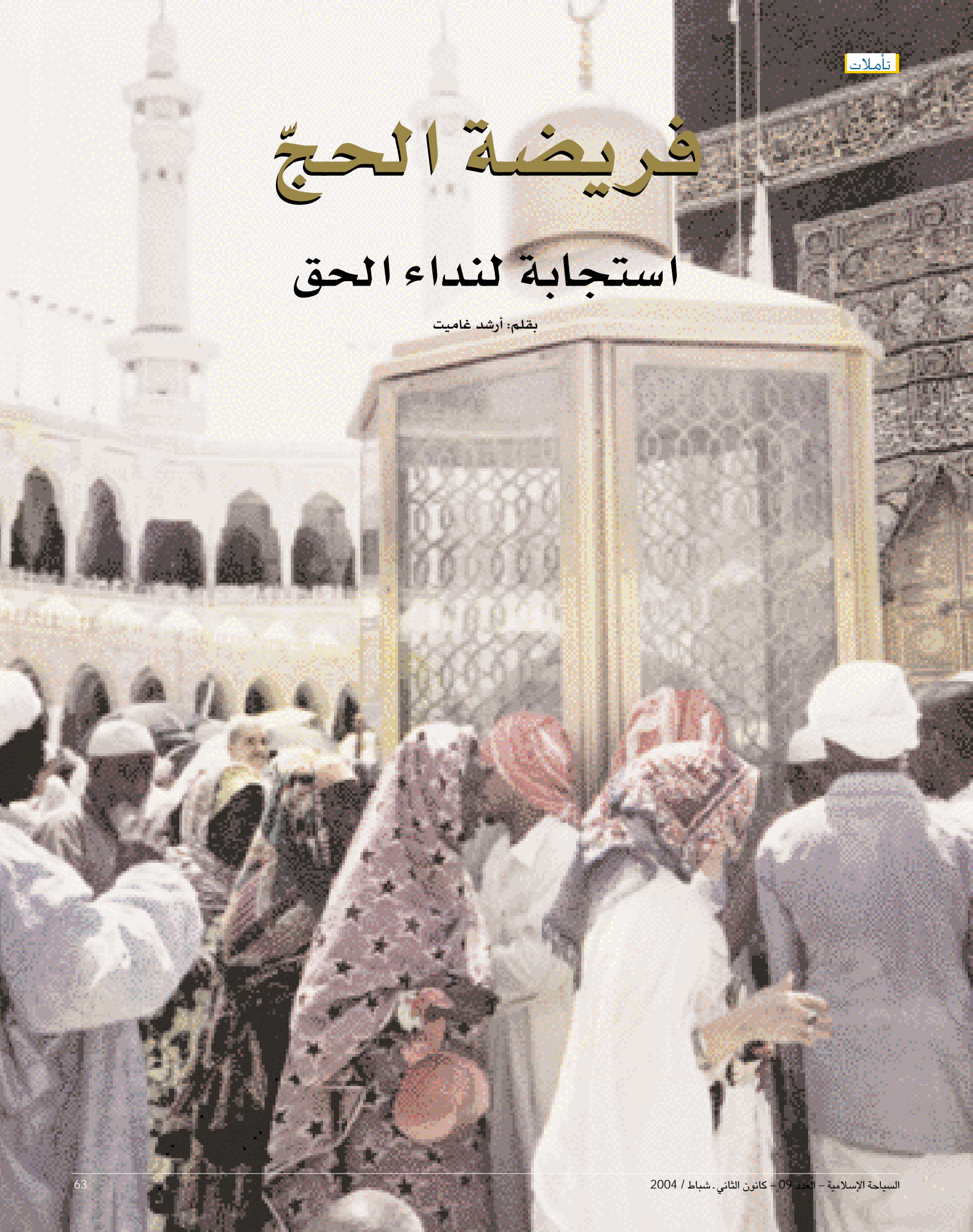


# فريضة الحج

## استجابة لنداء الحق

بقلم: أرشد غاميت



بكلمة الشهادة. الحج هو استجابة لنداء الله، ودعوته لزيارة بيته، على الأقل مرة قبل الوفاة. هو أيضاً إجازة للوعد الذي قطعناه كلنا. كل مرة نقراً: "... حج البيت من استطاع إليه سبيلاً". هذا جزء من إقرارنا بالإيمان وأننا نعد بأداء فريضة الحج عندما تتوفّر لنا الاستطاعة.

ثم نُؤدّي الطواف. ندور حول الكعبة التي طهرها النبي محمد (ص) من الأصنام حالما عادَ إلى مكة من هجرته الفسرية إلى المدينة. الصلاة في مقام النبي إبراهيم عليه السلام، وتُؤدّي السعي: نتذكّر زوجته هاجر التي ركضت بحثاً عن الماء لابنها الوليد. إسماعيل (ع). هكذا وجد بئر زمزم. إلى يومنا هذا. ولآلاف السنين. روى زمزم عطش الملايين من زوار بيت الله. ثم نسير بعد ذلك إلى سهل عرفات. ونقضّي يوم الوقوف في صلاة عميقة خاشعة. سائلين الله أن يغفر لنا ذنوبنا. كما غفر لآدم عليه الصلاة والسلام. في نفس هذا المكان. على جبل الرحمة: تُريدُ تكفيراً لذنوبنا الماضية. ومنتظر رحمة الله تعالى. في منى ومزدلفة. تُرمي الأحجار على الجمرات. وهذا تعبير خارجي عن عزمنا النفسي على

فعلي جميع المسلمين الذين لهم الإستطاعة. جسدياً ومالياً. أن يؤدّوا الحج مرة في العمر على الأقل. هو واجب. لكنه ليس مجرد واجب. هو عنصر مكمل لوجود المسلم. ومن لا يؤدّون فريضة الحج وهم قادرون على ذلك. يعتبر إيمانهم ناقصاً. وفي الحديث الصحيح عن النبي محمد (ص). (من لم حبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس. ومنع من سلطان جائر. ولم يحج. فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً).

ونشارك لبضعة أيام ثمينة في أحد أعظم الأحداث السنوية في التاريخ الإنساني. نكمل الطقوس التي ترجع أصولها إلى ما قبل زمن النبي محمد (ص). إلى وقت النبي إبراهيم عليه السلام. أو حتى قبل ذلك. في زمن آدم عليه السلام. وفي هذه الأيام البالغة الأهمية. يخلع الحجاج لباسهم المعتاد. ويزيلون كلّ الإشارات الدالة على العزّة والمركز الاجتماعي. ويلبس كلّ شخص نفس الشراشف البسيطة من القماش الأبيض. الإحرام. من نقطة البداية أو الميقات. يهتفون بتلك الكلمات المثيرة جداً. "البيك اللهم لبيك". هنا أنا. هنا أنا يا رب! إنهم يلبون نداء الله الذي بدأ لأول مرة

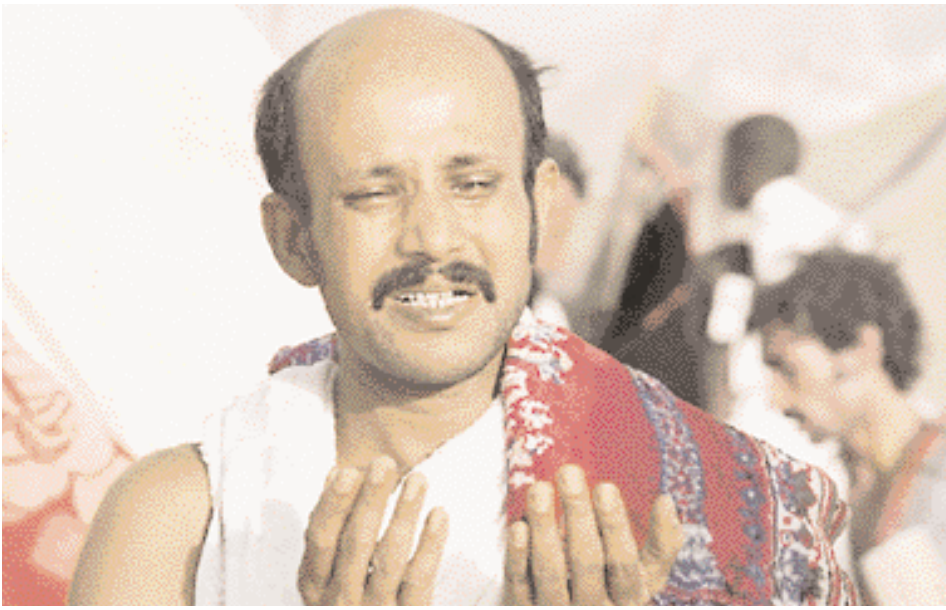
(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (سورة الحج آية 27). هذه الكلمات أوحاها الله تعالى إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق جبرائيل (ع) قبل 1400 سنة. وتلك الطرق الجبلية العميقة الغور والبعيدة ما زالت في مكانها. لكن اليوم حوّل الكثير منها إلى شوارع معبّدة بالقرن التاسع. تتسع لست أو ثمان سيارات. والجمال على هذه الطرق الجديدة أصبحت الآن عربات مكيفة من كلّ شكل وحجم. تقذف بدخان الديزل والبنزين مندفعة في نهر متدفق من المعدن اللّماع. إن السماء الزرقاء الواضحة في زمن النبي محمد عليه الصلاة والسلام. تنقطع فيها الآن المسارات البخارية للطائرات وهي تنقل الحجاج من الأراضي البعيدة.

إنهم يأتون من الأفاق البعيدة للأرض ليحتشدوا في مكة. برّاً وبحراً وجواً. الملايين تندفق لأداء الركن الخامس والأخير للإسلام. قال تعالى في القرآن الكريم: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً. ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين) (سورة آل عمران آية 97).



Stoning the devil.

رمي الجمرات.



Sincere prayer.

تَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

The cave of Hira.

فِي غَارِ حِرَاءَ.



رفض الشيطان وكُلَّ ما يمثِّله. إنَّ التجربة الكاملة لفريضة الحج غنية بالرموز والتاريخ. ونحن لسنا مجرد مشاهدين، بل مشاركون نشيطون في هذه العبادة المطوّلة. عندما نُؤدي صلاتنا اليومية فإنها لا تستغرق سوى بضعة دقائق. وعندما نُؤدي فريضة الحج فإنها تستغرق منا نحو سبعة إلى عشرة أيام لإكمال المراسيم التي ارتبطت بهذه الرحلة العظيمة. في يوم الوقوف، كُتِلَّ الحجاج على جبل عرفات وسفحه. يُكْرَسُ كُلُّ شخص هذا اليوم لطلب الرحمة من الله. العديد من المسلمين الذين لا يُؤدّون فريضة الحج، يَفْضَلُونَ هذا اليوم في الصوم كفعل تضامن ووحدة مع الأمة المسلمة. وهم لا يُريدون المغفرة فقط لأنفسهم، لكنهم أيضاً يسألون الرحمة والبركات لأولئك الذين يعانون من المشقة والحزن في كل مكان. ما أهمية فريضة الحج؟ ماذا تعني فريضة الحج حقاً. وكيف تُؤثّر فريضة الحج على حياة ومصير المسلمين؟ فريضة الحج هي رحلة خارجية وداخلية. رحلة خارجية من البيوت والعوائل والأشياء المألوفة، إلى مركز الإسلام؛ وهي أيضاً رحلة داخلية، للبحث في ذات الإنسان نفسه. الرحلة الخارجية للوصول إلى الكعبة في مكة المكرمة، توفّر للمسلم فرصة لمقابلة الإخوة والأخوات في الإيمان، من أنحاء العالم. لكلّ حاج أيضاً رحلة داخلية، للوصول إلى كعبة قلبه الخاص وروحه. هنا نحتاج للتأمل، لمخاسبة أنفسنا. من أين جئنا وإلى أين نذهب؟ ما نعمل بحياتنا؟ كيف نستعمل نحن الصحة والتعليم والغزوة والفرص التي منحها الله لنا؟ نسأل هذه الأسئلة في كلّ مستوى. لكن بالدرجة الأولى، في المستوى الروحي، من أين جئنا، وأين نذهب؟ يَجِيءُ الجوابُ مِنْ أعمق أعماق القلب، من ضمن الأعماق الأعمق للروح، في نص كلمات القرآن الكريم: "إنا لله وإنا إليه راجعون"

هذه هي الحقيقة ولا يوجد أبسط منها! نحن من الله، وقدرنا أن نعود إليه، وليس لنا اختيار في ذلك. لكن السؤال الكبير هو، كيف سنعود؟ هل نعود إليه بلهفة، بشوق للالتحاق برينا، أم أننا سنرجع بالرغم منّا ونحن نرفس ونصرخ، وقلوبنا بلوعة بالفرح، نقبله بالذنب والندم؟ هل نعود بشكل يسرّ الله تعالى، أو بما يغضبه؟ في هذه الدنيا نحن عندنا الاختيار، اختيار لا مثيل له، وما يسرّ هو أننا ما زلنا نملك وقتاً للاستفادة من ذلك الاختيار، وللتصرّف بناء عليه.

فريضة الحج رحلة مليئة بالمعاني والأهداف. نحن نلف أنفسنا في قطعتين من الشراشف، قماش الإحرام الأبيض. كما لو أننا نهيت أنفسنا بشكل رمزي للموت؛ وهذا هو الوقت الوحيد الذي سنلّف أنفسنا في كفن دفننا الخاص. عندما نموت فإن شخصاً آخر سيقوم بلفنا في الكفن. هنا نذكّر أنفسنا بالطبيعة العابرة لحياتنا على الأرض؛ رغم أنه أيضاً فرصة لأن نضع الأمور في نصابها، للأخذ ببداية جديدة؛ ولادة جديدة، وتغيير. إنه يمكّننا من إلقاء نظرة جديدة على أنفسنا، وأن نفكّر في إتجاه حياتنا، وإذا تطلّب الأمر فيمكن أن نعيد ترتيب أولوياتنا ثانية.

تجمع فريضة الحج البعض من تعليمات الإسلام ←

الأساسية. مفاهيم التوحيد. الوحدة ووحداية الله. تبدو هنا بوضوح وقوة. نرى وحدانية الله من خلال وحدة أولئك الذين يعيدونه. نرى الوحدة الضرورية التي تجمع التنوع الكبير للمسلمين. كل جنس. كل لغة. كل لون من النوع الإنساني. مثل هنا. في الحج. نحن لسنا مجرد شهود سلبيين. بل نحن جزء نشط من أمة الإسلام العظيمة.

نرى الإخوة الحقيقية لكل المؤمنين. قبل فريضة الحج. تعودنا أن نصلي ونؤدي واجباتنا الإسلامية في مجموعات صغيرة. على سبيل المثال. الصلاة واجبة علينا كلنا. تؤديها في وقتها المناسب. خمس مرات في اليوم. عندما نكون لوحدها فنحن نصلي بمفردنا. لكن حالما هناك على الأقل شخص آخر واحد. فنحن مدعوون للصلاة سوياً. إذا كنا قرب المسجد. نحن مدعوون للذهاب إليه. وأن ننضم إلى مجموعة أكبر مرة في الأسبوع. نحضر صلاة الجمعة. ومرتين في السنة. ننضم إلى مجموعات أكبر أيضاً في صلاة

المسجد النبوي الشريف.  
The Prophet Mosque.



Time to relax and to remember.

وقت الاستراحة والتذكر.



Time to relax and to remember.

وقت الاستراحة والتذكر.

العيد. أخيراً، نحن نلتزم، على الأقل مرة في حياتنا، للقيام بالحج إلى مكة المكرمة. إن الإسلام بحثنا على التجمع النشط في دوائر دائمة الاتساع. لذا يبدو واضحاً أن الإسلام ليس دين الوحيين أو المنعزلين. إنه يتبنى فكرة الجالية التي تبدأ من تجمع شخصين فقط في البيت، إلى أكثر من مليوني شخص في فريضة الحج. لذا فإن فريضة الحج عمل مهم جداً من أعمال العبادة الجماعية. في الحقيقة، هو أعظم عبادة جماعية سنوية لأي دين في أي مكان على الأرض.

على الرغم من تعدد لغاتنا المختلفة، أجناسنا، ثقافتنا و خلفياتنا الاجتماعية، فنحن مسلمون. نحن نرتدي ثوب الإحرام الأبيض. لا نستطيع رؤية أي امتياز بين وضع النسب أو عاليه، الغني أو الفقير، الأستاذ والطالب، الأمير والمزارع، المنظف ورجل الأعمال. كلنا نلبس الملابس نفسها، وهي شراشف من القماش الأبيض. في الإحرام، ليس هناك امتياز بين أي واحد وآخر. نرى أنفسنا بالضيقة كما يرانا الله، عارين من امتيازاتنا الخارجية، والمهم هو دخيلة الشخص، الجوهر الإنساني الذي علينا أن نممبه، نقويه ونهذب.

فريضة الحج رسالة تذكير بالموت. نحن مكسّون بنفس القماش الأبيض البسيط الذي سيعطينا في رحلتنا النهائية إلى القبر. لذا فإن فريضة الحج فرصة للبداءات الجديدة، لمراجعة حياتنا، إنه نداء للاستيقاظ. عندما يجيء ملاك الموت لإرجاعنا إلى صانعنا، لن تكون عندنا فرصة للتأخير، أو لإكمال أي عمل غير منتهي. لذا فإن فريضة الحج وقت ممتاز للبدء بوضع الأمور في مسارها الصحيح.

في كافة مناسك الطواف والسعي، الرحلة إلى منى،

مزدلفة وعرافات، نريد رحمة الله ومغفرة ذنوبنا، ونحن نهدي أنفسنا ثانية لخدمته. إذا كانت تلك الصلوات مخلصه، وإذا كنا صادقين ومخلصين وابتعدنا عن سلوكنا السيئ، وإذا سعينا بجد عظيم لاكتساب رضا الله، فستصبح فريضة الحج معلماً هاماً في حياتنا. في فريضة الحج نحن قادرين على التفكير في أعمالنا الماضية بهدوء، والتأمل في اتجاهنا المستقبلي. فريضة الحج ليست فقط إنجازاً لواجب

إسلامي مهم. الحاج الحقيقي يعود إلى بيته بتصميم جدي لقيادة حياته في الاتجاه الذي يقربه من رضا الله تعالى. هو ليس عبداً لرغباته العقيمة الخاصة، لكنه

سفير حقيقي للإسلام. ■

أدى المؤلف فريضة الحج في 1981. هذه المقالة تستند إلى تجربته الشخصية. حقوق الطبع: أرشد غاميت